

## الفصل الرابع

### النفوذ الإسلامي في جزر البحر المتوسط

جزر حوض البحر الأبيض الشرقي : قبرص - رودس - أرواد - كريت  
وبعض جزر بحر ايجه . جزر حوض البحر الأبيض الاوسط : صقلية أكبر جزائر  
البحر الأبيض - أهميتها - الخاح المسلمين عليها .

بالرمو عاصمة للإملاك الإسلامية بها ( ٨٣١ ) - اتمام فتح الجزيرة ( ٨٧٨ ) .  
جزيرة قوصرة ولواحقها - مالطة ولواحقها . جزائر حوض البحر الأبيض الغربي :  
جزر البليار - جزيرتا سردانية وقورسيقة .

obeykandl.com

موضوع هذا الفصل يقع في ثلاثة أقسام : القسم الأول : ويشمل جزائر حوض البحر الأبيض الشرقي ، وهي قبرص ورودس وأراود وجزائر بحر إيجه ، ويشمل القسم الثاني جزائر حوض البحر الأبيض الأوسط ، وهي صقيلة وقوصرة ولواحقها ومالطة ولواحقها . أما الحوض الغربي للبحر الأبيض فيشمل جزر البليار وجزيرتي سردانية وقورسيقة ، أما الجزر الصغيرة المتناثرة حول ساحل فرنسا الجنوبي وساحل إيطاليا الغربي ، فكانها مع فرنسا وإيطاليا .

\*\*\*

وتعتبر جزيرة قبرص أولى جزائر البحر المتوسط التي تطلع إليها المسلمون منذ قامت بحريتهم أواخر القرن السابع الميلادي ، ويعتبر معاوية ابن أبي سفيان ( ت ٦٠ هـ / ٦٨٠ م ) ، أول من غزا في البحر من المسلمين الأولين ، زمن الخليفة عثمان بن عفان ( ٢٣ - ٣٥ هـ / ٦٤٤ - ٦٥٦ م ) ، وقد وافق عثمان على غزو جزيرة قبرص في عام ٢٨ هـ / ٦٤٨ م بينما كان عمر بن الخطاب قد رفض من قبل ركوب البحر (١)

وقبرص جزيرة هامة من حيث الموقع لتأمين فتوح المسلمين في الشام وأفريقية ، ثم إنها محطة بحرية هامة للتجارة والملاحة ، فضلا عن ثروتها .

جاءت أول غزوة إسلامية لقبرص عام ٢٨ هـ ، وانتزعها المسلمون من  
السيادة البيزنطية ، وصالح معاوية أهلها على جزية يؤدونها سنويا ،  
ومقدارها سبعة آلاف دينار ، ويقال إن معاوية لحسن سياسته وفرط  
دهائه ، وافق على أن يؤدي أهل الجزيرة مثل هذه الجزية إلى الروم ،  
وإمبراطورهم المعاصر يومئذ هو قنسطانز الثاني ( ٦٤١ - ٦٦٨ م ) ، كذلك  
اشترط معاوية على القبارصة ، ألا يقوموا بغزو المسلمين ، وعليهم ، كما  
يقول الطبري « أن يؤذّنوا المسلمين بمسير عدوهم من الروم إليهم ، وشمل  
العهد الذي أعطاه معاوية لأهل قبرص كذلك ، على « أن يبترق إمام  
المسلمين عليهم منهم ، (١) وعلى ألا يتزوج أهل قبرص في عدونا من الروم  
إلا بإذنتنا ، (٢)

على أن السيادة الإسلامية لم تثبت على قبرص ، فتكررت غزوات  
المسلمين لها ، من ذلك غزوة معاوية لها في عام ٣٣ هـ / ٦٥٣ م ، في خمسمائة  
مركب ، ونجحت كما نجحت الغزوة الأولى ، وأنزل معاوية بها اثني عشر  
ألف مسلم ، كلهم أهل ديوان ، أي من مستحقى العطاء بديوان الجيش ، كما  
ابتنى فيها المساجد ، وهجر إليها جماعة من بعلمك ، واشترك أهل مصر في  
هذه الغزوة بقيادة عبد الله بن سعد بن أبي سرح ، إذ كان إليه أمر البحر (٣)  
ولم تنقطع غزوات المسلمين لهذه الجزيرة خلال العهد الأموي والعباسي .

(١) الطبري تاريخ الرسل والملوك ج ٥ ص ٥١ - ٥٣

(٢) الطبري تاريخ الرسل والملوك ج ٥ ص ٥٤

(٣) البلاذري ق ١ ص ١٨١ - ١٨٣ : ابن الأثير ج ٣ ص ٣٩ - ٤٠ : رحلات

الفتوحات الإسلامية ص ١٥١ - ١٥٢

فخرجت غزوات : ١٣٠ هـ / ٧٤٧ م ، ١٥٨ هـ / ٧٧٥ م ، ١٧٤ هـ ، ٧٩٠ م ،  
١٩٠ هـ / ٨٠٦ م وهكذا .

ولم تكن معاملة المسلمين لأهل قبرص إلا بناء عن مشورة الفقهاء  
والأئمة ، بدليل ما حدث خلال العصر العباسي زمن الخليفة أبي جعفر  
المنصور عندما ثار القبارصة ونقضوا شروط الصلح القديم ، فاستشير في  
أمرهم كبار الأئمة في ذلك الوقت ، منهم مالك بن أنس والليث بن سعد ،  
وسفيان بن عيينة وموسى بن أعين وإسماعيل بن عباس ويحيى بن حمزة  
وإسحاق الفزاري وغيرهم (١) ، وعلق بعض الصحابة على موقف القبارصة  
بقوله : ما وفي لنا أهل قبرص قط ، (٢)

ورغم حرص المسلمين على المحافظة على العهد الذي أعطوه لأهل قبرص ،  
فإن قبضة المسلمين على الجزيرة لم تثبت ، ومن ثم تداوات السيادة عليها بين  
الدولة الإسلامية والدولة البيزنطية ، حتى استولى عليها ريتشارد قلب  
الأسد ملك إنجلترا وهو في طريقه إلى الشام خلال الحملة الصليبية الثالثة  
عام ١١٩٦ م . وكانت في ذلك اوقت خاضعة لأمير بيزنطي استقل بها عن  
بيزنطة ، ثم آل أمر الجزيرة إلى الفارس الفرنسي جي لوزينان Guy de Lusignan  
ملك بيت المقدس الصليبية ، وقامت أسرة لوزينان الصليبية في قبرص  
حتى استولى عليها السلطان برسباي سلطان الجراكسة في مصر بعد ثلاث

(١) البلاذري ص ١٨٣ - ١٨٦

(٢) البلاذري ص ١٨٦

حملات (١٤٢٤ . ١٤٢٥ م ١٤٢٦م) ، وأسر ملكها جانوس ، وظلت قبرص خاضعة لمصر ، وتدفع لها الجزية حتى نهاية عصر المماليك (١) .

أما جزيرة رودس ، فتعد من أخصب جزر البحر الأبيض الشرقي وقد بدأ غزو المسلمين لها في عام ٥٢٨ / ٦٤٨م ، وفي الحملة التي شنّها المسلمون عليها عام ٥٢٢ / ٦٥٢م ، غنم المسلمون منها كثيراً . ومن بين مغائهم أنقاض نحاسية لإله الشمس هليوس ، كان عند ميناء رودس ، وسقط بفعل الزلازل (٢) .

وفي عام ٥٥٣ / ٦٧٣ م أرسل الخليفة معاوية بن أبي سفيان حملة بقيادة جنادة بن أبي أمية الأزدي ، ففتحها عنوة ، وأنزلها قوماً من المسلمين ، استقروا بها نحو سبع سنوات ، استثمروا خلالها أرضها الخصبة فزرعوها واتخذوا أموالاً ومواشي يرعونها حولها . فإذا أمسوا أدخلوها الحصن ، ولهم ناطور (٣) يحذرهم ما في البحر ممن يريد بهم بكيد ، فكانوا على حذر منهم ، وكانوا أشد شيء على الروم ، فيعرضونهم في البحر ، فيقطعون سفنهم ، وكان معاوية يدير لهم الأرزاق والعطاء ، وكان العدو قد خافهم (٤) ،

---

(١) مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة (المؤام) ص ٩٥ - ٩٧ ، ١٠٢ - ١٠٥ ،

عاشور : قبرص والحروب الصليبية ص ١٠ - ٢٠

(٢) أرشيبالد لويس ص ١٩١ ، ١٦٦ ، انظر الفصل الثاني من كتاب «دراسات إسلامية » لطائفة من المستشرقين الأمريكيين (ترجم إلى العربية بإشراف دكتور نقولا زيادة) ص ٢٥ - ٨٢ .

(٣) الناطور اصطلاح أطلق على متولى الحراسة ، واشتهر في عصر السلاطين المماليك في مصر على من يقوم بحراسة الملابس في الحمامات .

(٤) المطبوع ج ٦ ص ١٦١ ، ابن الأثير ج ٣ ص ٢١١

غير أن يزيد بن معاوية (٦٠ - ٦٣ هـ / ٦٨٠ - ٦٨٣ م) ، سمح  
للمسلمين المقيمين برودس ، بالعودة خوفا عليهم من خطر الروادسة  
والإمبراطورية البيزنطية<sup>(١)</sup> ، ولكن غزوات المسلمين لم تنقطع عنها ،  
وتداولت السيادة عليها الدولة الإسلامية والدولة البيزنطية ، من ذلك أن  
مسلمة بن عبد الملك استولى عليها وهو في طريقه لحصار القسطنطينية عام  
٧١٧ م ، وهو الحصار الذي انجلى عن قيام الأسرة الأيسورية في العرش  
البيزنطي<sup>(٢)</sup> ، وبعد فشل الحصار ، أفلتت الجزيرة من يد المسلمين ، وفي  
مطلع القرن التاسع الميلادي ، حاول هرون الرشيد فتحها ، ولكنه لم  
يتمكن ، فظلت تابعة لبيزنطة<sup>(٣)</sup> ، حتى استولى عليها فرسان الاسبتارية  
Hospitallers الصليبيون ١٣٠٨ م<sup>(٤)</sup> ، وخلال سيادة الفرسان عليها ،  
جاءت محاولة السلاطين المماليك في مصر زمن السلطان جتمق (٨٤٢ -  
٨٥٧ هـ ، ١٤٣٨ - ١٤٥٣ م) ، ولكنهم لم ينجحوا في الاستيلاء عليها<sup>(٥)</sup>  
ومن ثم ظلت رودس خاضعة للاستبارية حتى انتزعها العثمانيون  
عام ١٥٢٢ م .

(١) البلاذري ق ١ ص ٢٧٨

(٢) زيادة : المحاولات الحربية للاستيلاء على جزيرة رودس ص ١٩٥ ؛ الطبرى ج ٦

ص ١٦١ ، ١٧٩ ، ابن الأثير ج ٣ ص ٢١١ ، ج ٤ ص ٢ ، Vassilier A. A.

Byzantin & Islam ( Byzantin ) pp. 309 - 310

(٣) زياده ص ١٩٥

(٤) مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة ص ٩٧-٩٨ ؛ Runciman, A History  
of the Crusades, Vol. III, pp. 439, 434 - 5

(٥) زيادة ص ١٩٦ - ٢٠٢ ، الجراكسة ص ١٠٥ ومايليها ، السيوطي : غزوات

قبرس ورودس ص ١٤-١٥ ، التبر المسوك ص ٦٢-٦٤ ، Lane Poole A.

History of Egypt in the Middle Ages, pp. 338 - 339

وهناك جزيرة صغيرة قرب القسطنطينية تعرف باسم جزيرة أرواد Aratus ، فتحها المسلمون بقيادة جنادة بن أبي أمية عام ٥٥٤ / ٦٧٤ م ، واشترك معه في الفتح مجاهد المقرئ ، ولكن المسلمين لم يلبشوا أن جلوا عنها عندما عادوا من رودس (١) .

وبمثل الانتصارات التي اقترنت بالفتوح الإسلامية ، افتتح المسلمون جزيرة قريطش (كريت) عام ٥٥٥ / ٦٧٣ م ، وذلك بقيادة جنادة بن أبي أمية ، وتكرر الغزو زمن الوليد بن عبد الملك ، وفي عهد هرون الرشيد (١٧٠ - ١٩٣ / ٧٨٦ - ٨٠٩ م) تم فتح جزء كبير من الجزيرة بقيادة حميد بن معيوف الحمداني (٢) .

ولكن كريت لم تخضع كلها للسيادة الإسلامية إلا في مطلع القرن الثالث الهجري والتاسع الميلادي ، وذلك على يد الربضيين الذين ثاروا بالأندلس عام ١٨٩ هـ ، ٢٠٢ هـ ، زمن الحكم بن هشام الأموي ( ١٨٠ - ٢٠٦ / ٧٩٦ - ٨٢٢ م ) ، فقد خرج أولئك الثائرون مهاجرين من الأندلس بقيادة أبي حفص عمر بن عيسى بن شعيب البلوطي (٣) ، وهو الذي اشتهر فيما بعد باسم الأقريطشي ، وبلغ عدد هؤلاء المهاجرين نحو خمسة عشر ألف رجل ، غير النساء والأطفال (٤) ، وصلوا إلى الاسكندرية

(١) ابن الأثير ج ٣ ص ٢١٢ ، الطبري ج ٦ ص ١٦٤ ، البلاذري ص ٢٧٩

(٢) البلاذري ص ٢٧٩

(٣) البلوطي نسبة إلى نعص البلوط قرب قرطبة ، وهذا المكان هو المعروف حالياً باسم Los Pedroches ، والنسبة إلى هذه الضاحية بلوطي ( انظر الروض المعطار ص ١٤٠-١٤٣ )

(٤) السكندی : الولاة والقضاة ص ١٥٧-١٥٨ ؛ مؤنس : المسلمون في حوض البحر الأبيض ص ١٣٧ ؛ Dozy, Op. Cit, t.I., P. 300, T. II, pp. 68-76

واستولوا عليها فترة من الزمن ، وكانت مصر وقتذاك مضطربة بسبب الفتنة بين الأمين والمأمون ، فلما استوى الأمر للمأمون ، أرسل هبدا الله ابن طاهر واليا على مصر ، فحاصرهم وسهل لهم أمر الرحيل ، وأمدهم بالأموال ثم سيرهم إلى جزيرة كريت (١) .

استولى أبو حفص على أحد حصون الجزيرة عام ٨٢١ / ٨٢٥ م ، ولم يزل يفتح الحصون والبلاد ، حتى لم يبق بها من الروم أحد (٢) ، ثم وفد على الجزيرة نفر آخر من الأندلسيين وانضموا إلى إخوانهم ، ومن ثم أصبحت جزيرة كريت قاعدة للعمليات الحربية الإسلامية في بحر إيجه وشواطئه . وقد روع أبو حفص شواطئ بيزنطة ، وأشارت إليه المراجع البيزنطية باسم Apocapso ، وتكررت الغزوات من الجانبين الإسلامي والبيزنطي .

اتخذ المسلمون في كريت قاعدة لهم عند موضع بلد قديم على خليج لادا Lada قرب رأس خراكس Charax ، وحفر حوله خندق ، ثم عرف هذا المكان كله بالخندق ، وفيه نشأت المدينة المعروفة باسم كانديا Candia وهي تحريف لكلمة الخندق (٣) . وفي جزيرة كريت أقام المسلمون دولة أو إمارة إسلامية عرفت باسم الدولة السكبية ، عمرت أكثر من قرن (٨٢٧-٩٦١ م)

---

(١) العبادي ص ٩٣-٩٥ ، البيان المغرب ج ٢ ص ١٠٦ . ١١٣ - ١١٤ ، ابن الخطيب ص ١٥ - ١٦ ، نفع الطيب ج ١ ص ١٥٩ ، ابن الأثير ج ٦ ص ١١٠ - ١١١

(٢) البلاذري ص ٢٧٩

(٣) مؤنس : المسلمون في حوض البحر الأبيض ص ١٣٧ - ١٣٨

وأمرأء هذه الدولة هم : أبو حفص عمر مؤسسها ( ت ٢٥٠ هـ / ٨٦٤ م )  
وابنه من بعده وهو شعيب بن عمر ، ثم حفيده عبد العزيز بن شعيب بن  
عمر المعروف بالغليظ، وتوفي هذا الأمير بالقسطنطينية، وخضع ابنه اينماس  
Anemas في خدمة البيزنطيين ( ٣٤٩ - ٥٣٥٠ هـ / ٩٦٠ - ٩٦١ م ) (١)  
أى زمن الأسرة المقدونية الحاكمة في بيزنطة .

وخلال إقامة المسلمين في أفريطش ، لم تنقطع الحروب بينهم وبين  
بيزنطة ، ورد المسلمون على هجمات بيزنطة ، بغزو ساحل تراقيا وجزر  
السيكلاديز Cyclades في بحر إيجه، ودمروا أسطولا بيزنطيا عام ٢٢٦ هـ /  
٨٣٩ م) قرب جزيرة تاسوس Thasos ولما كان مسلمو كريت على تحالف  
وثيق مع مصر الإسلامية ، فقد هاجمت بيزنطة دمياط عام ٢٣٩ هـ ،  
٨٥٣ م .

وذلك زمن ولاية عنبسة بن إسحاق على مصر (٢) من قبل الخليفة  
المتوكل العباسي . ونهبوها وسبوا وخربوا ، ثم عادوا مسرعين ، وتكررت  
غارة الروم عام ٢٤٥ هـ ٨٥٩ م في ولاية يزيد بن عبد الله (٢٤٢ - ٢٥٣ هـ /  
٨٥٦ - ٨٦٧ م ) (٣) .

واتخذ المسلمون قواعد لهم في جزر بحر إيجه مثل جزيرة نيون قرب شبه  
جزيرة خالسيديس Chalcidice ، وتحكموا في كثير من هذه الجزر مثل  
ناكوس Nakos وباتموس Batmos وباروس Baros وإريجينا Aegina

(١) زامباور ج ١ ص ١٠٩

(٢) النجوم الزاهرة ج ٢ ص ٢٩٢ ، ٢٩٤ - ٢٩٥

(٣) النجوم الزاهرة ج ٢ ص ٣٠٨ - ٣٠٩

وساموس Samos ، وربما كانت لهم قاعدة في أثينا نفسها ، ووصلت سفنهم إلى بحر مرمرية عام ٢٨٩ هـ / ٩٠١ م ، وفي عام ٢٩٢ هـ / ٩٠٤ م هاجم المسلمون سالونيكاً وأسروا نحو ٢٢ ألفاً من أهلها ، وفشل أسطول الإمبراطور ليو السادس الملقب بالرشيد (٨٨٦-٩١٢ م) الذي أرسله إلى جزيرة أقریطش عام ٢٩٨ هـ / ٩١٠ م ، وعلى ذلك ظلت مدينة الخندق مركز تهديد للنفوذ البيزنطي في بحر إيجه ، وفي زمن الإمبراطور رومانوس ليسكابينوس R. Lecapenos فشل أسطول بيزنطي آخر أرسله عام ٣٣٨ هـ / ٩٤٩ م (١) .

ومن حيث جزائر حوض البحر الأبيض الأوسط فأهمها : صقلية (سقلية) Sicilia ، وهي في الواقع أكبر جزائر البحر الأبيض ، وتشتهر بخصوصيتها ، فضلاً عن حسن موقعها ، لصلتها بأفريقيا الشمالية من ناحية وإيطاليا الجنوبية من ناحية أخرى ، ولهذا الموقع أهميته الكبرى من الناحية التجارية والحضارية ، فقد سهل الاتصال بالشعوب ذوات الحضارة على شواطئ ذلك البحر منذ القدم ، بل إن صقلية والجزء الجنوبي من إيطاليا ، كانا يعرفان معاً في العصر الكلاسيكي باسم «بلاد الإغريق العظمى Magna Gracia» ، وذلك خلال القرن الرابع قبل الميلاد ، بسبب سيادة الحضارة الهلينية بهما (٢) ، وكان الفنيقيون قديماً قد امتلكوها قبل الإغريق .

وفي العصر المسيحي ، كانت جزيرة صقلية من المعاقل التي اعتمدت

(١) أرشيبالد لويس ص ٢١٤ ، ٢٢٤ ، C. Med. Hist., Vol. IV, pp. 141-2

(٢) Bury, History of Greece pp 679-80 679-80

عليها البابوية ، وفي فجر الفتوح الإسلامية ، كانت السيادة البيزنطية على صقلية ، قد تدهورت نتيجة للغزوات اللومباردية التي اجتاحت إيطاليا خلال النصف الثاني من القرن السادس الميلادي ، عقب الجهود المضنية التي بذها الإمبراطور حسليان (ت . ٥٦٥م) (١) .

بدأ الغزو الإسلامي لجزيرة صقلية عام ٦٥٦/٥٣٦ م ، حين خرجت حملة مكونة من مائتي سفينة ، من شواطئ سوريا ، وهذه أول حملة إسلامية ، وتقول الرواية العربية إن أول من غزاها عبدالله بن قيس الفزاري من قبل معاوية بن حديج الكندي والى مصر وأفريقيا ، فأصاب أصناماً من ذهب وفضة ، مطلية بالجواهر ، ولما بعث بها إلى معاوية بن أبي سفيان والى الشام يومئذ ، وجهها إلى البصرة لتحمل إلى الهند لتباع هناك ، لأنه رأى يبيعها وهي قائمة أكثر ثمنها ، ولم يبال معاوية بانتقاد المسلمين ، وأخرج الخنس من الغنائم وبعث به إلى الخليفة عثمان بن عفان ، وكتب له بسلامة المسلمين من هذه الغزوة (٢) .

استمر الغزو الإسلامي لجزيرة صقلية ، وكان مسلمو أفريقيا ، هم الذين تولوا أمر الغزو بحكم موقعهم الجغرافي ، وأكثر هؤلاء الغزاة من البربر الذين تعربوا ، لما كان من قلة العرب في ذلك الدور ، والبربر أشد الشعوب التي اعتنقت الإسلام ، بأساً (٣) .

(١) فخر : تاريخ أوروبا في العصور الوسطى (ق١ ترجمة زيادة والياز ) ص ٥٠-٥٢ ، وفي النسخة الإنجليزية ( Scott Vol II ( Book I pp 131 132

p p 1-8 Waern C Medieval Sicily PP . 7 -10

(٢) البيان المغرب ج ١ ص ١٢ ؛ البلاذري ص ٢٧٨ ، كرد علي : الإسلام والحضارة

العربية ج ١ ص ٢٧٣ ، Encycl Britt Scott II p. 8

(٣) أرشيبالد لويس ص ٩١ ، لوبون حضارة العرب ( ترجمة عادل زعيتر ) ص ٣٠٢

فغزاها عباس بن أخيل من رجال موسى بن نصير ومحمد بن يزيد الأنصاري والى أفريقية (٩٧-٩٩٩هـ/٧١٥-٧١٧م) (١). وبعد عام ٥١٣٠هـ/٧٤٧م قام عبد الرحمن بن حبيب الفهري والى أفريقية زمن المنصور وغزا صقلية عام ٥١٣٥هـ/٧٥٢م، وتكرر الغزو عام ٥١٤٦هـ/٧٦٣م (٢).

على أن الأغالبة، حكام أفريقية، هم الذين قاموا بالنصيب الأكبر في فتح الجزيرة، وأكلوا فتحها، وجد الأغالبة الأغلب بن سالم التميمي ثم السعدي، ولأه الخليفة أبو جعفر المنصور على المغرب عام ٥١٤٨هـ/٧٦٥م، وهو من ذوى الشجاعة والرأى، ومن أصحاب أبي مسلم الخراساني، دخل الأغلب بلاد المغرب مع محمد بن الأشعث الخزاعي الذى ولأه المنصور مصر (٣) وعهد إليه بإخماد البربر بالمغرب فدخل المغرب سنة ٥١٤٤هـ/٧٦١م وأخذ الفتن واستقر بالقيروان وشرع فى بناء أسوارها. وكان معه الأغلب، فعينه ابن الأشعث على طابنه والزاب وعاد ابن الأشعث عام ٥١٤٨هـ إلى المشرق فرأى المنصور أن الأغلب خير قائد يوليه المغرب فولأه فى ذلك العام والياً على المغرب وهو جد الأغالبة ملوك أفريقية من بعده وظل حتى قتل فى سنة ٥١٥٠هـ/٧٦٧م خلال إخماد الفتن الداخلية بالمغرب.

(١) البيان ج ١ ص ٤٤ - ٤٥

(٢) البيان ج ١ ص ٦٥ - ٧٧

(٣) ولأى محمد بن الأشعث بن عقبة بن أهبان الخزاعي، مصر أواخر عام ١٤١هـ / ٧٥٩م، وعزل عن مصر أوائل سنة ١٤٣هـ / ٧٦٠م (النجوم الزاهرة ج ١ ص

والمؤسس الحقيقي لدولة الأغالبة في أفريقية هو إبراهيم بن أبي العرب الأغلبى  
الذى ولاه الرشيد عام ١٨٤هـ / ٨٠٠م (١) .

عقد إبراهيم الأغلبى (١٨٤ - ١٩٧هـ / ٨٠٠ - ٨١٢م) هدنة ومعاهدة مع حاكم  
صقلية البيزنطى وهو البطريرق قنسطنطين لمدة عشر سنوات ، ولكن هذه  
المعاهدة لم يطل أمرها بسبب اندفاع المسلمين وحماسهم للغزو والفتح ،  
فحدث فى عام ١٩٧هـ / ٨١٢م أن هاجم المسلمون بعض الجزر التابعة لصقلية  
فارسل الإمبراطور البيزنطى ميخائيل الأول (٨١١ - ٨١٣م) أسطولاً بحرياً  
بقيادة جريجورى، وساعدته المدن الإيطالية مثل جايتا Gaeta وأمالفى Amalfi،

(١) اشترط إبراهيم الأغلبى على الرشيد أن يكون مستقلاً فى شئونه الداخلية وأن  
تتولى ذريته من بعده إمارة أفريقية بالوراثية ، وألا يدفع الإعانة التى كانت تدفعها  
أفريقية إلى مصر ، وقدرها مائة ألف دينار ، وأن يقوم إبراهيم الأغلبى بدفع ٤٠ ألف  
دينار سنوياً للخليفة ، ووافق الرشيد بعد استشارة أولى الرأى ، ومنهم هرثمة بن  
أعين ؟ وكان أهل أفريقية قد طلبوا من الرشيد الموافقة على ولاية إبراهيم الأغلبى .

ويعتبر إبراهيم الأغلبى أول من جعل إمارة أفريقية وراثية فى العهد الإسلامى ، وخلفه  
أولاده الثلاثة من بعده: وهم أبو العباس عبد الله ثم أبو محمد زيادة الله ثم أبو عقاب الأغلب  
السعدى ، وأهمهم ابنه زيادة الله وهو معاصر للخليفة عبد الله المأمون ، وزيادة الله هو الذى  
أسند قضاء أفريقية إلى أسد بن الفرات صاحب مالك ابن أنس ، وهو صاحب الأسدية فى الفقه  
على مذهب مالك ، وأسد هذا هو الذى قاد حملة لغزو صقلية عام ٢١٢هـ / ٨٢٧م . وانتهت  
دولة الأغالبة فى أفريقية عام ٢٩٦هـ / ٩٠٩م ، وذلك عندما دخل أبو عبد الله الشيعى ودعا  
للفاطميين ، واستولى على أفريقية ، وقد حكمت دولة الأغالبة أفريقية ١١١ سنة ، تولى الحكم  
خلالها أحد عشر أميراً أولهم إبراهيم بن الأعلب - باستثناء من سبقه - وآخرهم زيادة الله  
الثالث وكنيته أبو مضر .

( الاستقصا ص ٨٤ ، ١١٤ - ١١٦ ، ١٢٢ ، ١٦٥ - ١٦٧ ، البيان ج ١ ص

١١٦ - ١٦٦ ، ابن الأثير ج ٦ ص ٥٦ ، ١٢١ ، ١٢٣ ؛ الزواوى ص ١٤٢ - ١٤٣ ،

زامباور ج ١ ص ١٠٥ - ١٠٦ ، Brockelmann P 150

غير أن المسلمين استطاعوا أن يستولوا على بعض سفن الأسطول قرب جزيرة لنبدوشه Lampedusa (١)، وقتلوا بحارتها، فعاود البيزنطيون الكرة وانتصروا على المسلمين، مما أدى إلى تجديد الهدنة لمدة عشر سنوات أخرى من عام ٨١٣ م، ومع ذلك لم تطل هذه الهدنة كما سبقتها (٢).

فقد حدث في عام ٨١٩/٥٢٠٤ م، أن أرسل زيادة الله الأغابي ثالث حكام الأغالبة في أفريقية، (٢٠١-٥٢٢٣/٨١٧-٨٢٨ م) أسطولاً لغزو صقلية، بقيادة ابن عمه (٣).

وفي سنة ٨٢٥ م، قام مغامر في صقلية اسمه يوفسيوس Euphemius، وتكثبه المراجع العربية فيمي، وخرج على جريجورى Greogaras حاكم صقلية البيزنطى، وفيمي هذا كان أمير البحر فى الأسطول البيزنطى المرابط فى صقلية، علم أن الإمبراطور ميخائيل الثانى العمورى (٨٢٠-٨٢٩ م) قد أمر بالقبض عليه وقتله، فثار على حاكم صقلية وقتله ونصب نفسه حاكماً على الجزيرة عام ٨٢٥ م، وفى العام التالى جاءت قوة بيزنطية بقيادة قنسطنطين للقضاء على الثائر، غير أن فيمي تمكن من القضاء على هذه القوة فى قاطانيا Catania وقتل قنسطنطين، وجاءت قوة أخرى بقيادة أرمنى، سماه العرب بلاطه Balatah، فانتصر وهرب فيمي لاجئاً عند المسلمين فى أفريقية، طالباً مساعدتهم (٤).

(١) انظر مايلي

(٢) Cam Med Hist Vol IV P 134 Deanesly P 375

(٣) Brockelmann P 156 C Med.Hl.Op. Cit. P134

(٤) ابن الأثير ج ٦ ص ١٢٣-١٢٤ ' Scott H, pp.10-11.C. Med. H. Vol. IV

أرسل زيادة الله بن الأغلب حملة من أفريقية بقيادة أسد بن الفرات ونزلت هذه الحملة في مدينة مازر Mazzara في ١٥ يولية ٨٢٧ م / ٢١٢ هـ وهزمت بلاطه الذي هرب إلى مدينة إنا Enna التي عرفت كذلك باسم مدينة قصر ياناه Castrogiovanni ومنها هرب إلى قلورية Calabria في جنوبي إيطاليا حيث قتل بعد قليل . واستولى المسلمون على بعض الحصون . فطالب الصقليون بالأمان ودفع الجزية . ولكنهم تربصوا بالمسلمين الدوائر واستعدوا للوثوب عليهم . على أن أسد بن الفرات استمر في فتوحه . وحاصر سرقوسة Syracuse وجاءته إمدادات من أفريقية وأسبانيا وهزم حامية بالرمو عام ٨٢٣/٨٢٨ م ، وقاسى العرب الكثير من الجوع والطواعين حتى أن ابن الفرات نفسه مات في يوليو ٨٢٨ م<sup>(١)</sup> .

خلفه في القيادة محمد بن أبي الجوارى ، وجاء أسطول بيزنطي بقيادة ثيودوتس Theodotus الذي عينه الإمبراطور بطريقاً على الجزيرة ، فتقهقر العرب نحو الشمال ورفعوا الحصار عن بالرمو ، لكنهم استولوا في طريقهم على مدينة مينو ميناو Mineo وحصن مدينة جرجنت Gregenti وحاصروا قصر يانة مرة أخرى . وخلال هذه العمليات كان فيمى يساعد المسلمين ، غير أن مواطناً من قصر يانة قام له وحياه باعتباره إمبراطوراً ثم اغتاله ، وفشل ثيودوتس في مهمته ، فقد هزمه المسلمون كما هزموا أسطولا بندقياً جاء لمساعدة البيزنطيين<sup>(٢)</sup> .

وبعد وفاة القائد الإسلامي محمد ، خلفه في منصبه زهير بن غوث ،

---

(١) في C. Med. H., Vol. IV P. 135 : Scott, II, G.  
(٢) ابن الأثير ج ٦ ص ١٢٤ ؛ C. Med. H. Vol. IV P. 135

وفي تلك الفترة ، رجحت كفة المسيحيين ، ولكن بوصول إمداد إسلامية من أسبانيا بقيادة الأصبغ ، انتصر المسلمون على ثيودوتس وقتلوه ، ومات الأصبغ في طاعون انتشر في ذلك الوقت ، وكان الإمبراطور البيزنطي المعاصر هو ثيوفلس ( ٨٢٩ - ٨٤٢ م ) (١) .

نجحت القوات الإسلامية بقيادة محمد بن عبد الله في عام ٨٣١ م في الاستيلاء على مدينة بالرمو ، عاصمة الجزيرة ، وساعدهم على ذلك انشغال ثيوفلس في حروبه الشرقية ، واستسلمت بالرمو بشرط أن يترك قائد حاميتها وأسرته ، وتم ذلك في سبتمبر من عام ٨٣١ م وصارت بالرمو عاصمة المسلمين (٢) .

غير أن الخلافات التي وقعت بين المسلمين الأسبان والمسلمين الأفريقيين قد أخرت إتمام فتح الجزيرة ، ورغم ذلك ، فلم تقف عمليات الغزو ، فغزا المسلمون سرقوسة ٨٣٥ م ، ولما جاء محمد أخو ابن الأغلب في ذلك العام ، ليتولى حكم الجزيرة ، وليكمل فتحها ، اتخذ من بالرمو مركزاً لتوسعه ، واستولى على بعض السفن البيزنطية ، كما استولت قواته على سفينة بيزنطية قرب جزيرة قوصره (٣) . وتكرر الغزو ، وتأرجح النصر والهزيمة بين الجانبين .

وفي عام ٢٢٥ هـ (٨٣٩ م) أرسل أبو الأغلب ، حاكم أفريقية (٨٣٨ -

(١) ابن الأثير ج ٦ ص ١٢٥ ؛ C. Med. op. cit. P. 136

(٢) Waern Op. Cit. pp. 11-13 . Brocke] . p. 159 . Scott. II P. 21

(٣) أنظر مايلي :

٨٥١ م) أمداً جديدة ، أجبرت بعض المدن والحصون على دفع الجزية ، وهي : حسن البلوط Caltabellotto وأبلاطنبو Platani وقرلون Corleone وسوترا Sutura ، فاضطر الإمبراطور ثيوفانس إلى طلب المساعدة من الفرنجة ومن مسلمي الأندلس ، وأمه البنادقة بأسطول دمره الأسطول الإسلامي في مياه طارانت Tarantum جنوبي إيطاليا . ويمكن القول إنه في عام ٨٤٠ م كان المسلمون قد استولوا على نحو ثلث الجزيرة تقريباً<sup>(١)</sup> .

وفي الفترة ما بين ٨٤١ ، ٨٤٥ م استولى المسلمون على كالنا جيروني Calagironi ومسينا وموديك Modica وبعض الحصون الجنوبية ، وكان أهالي نابلي يساعدون المسلمين ، بسبب الصراع بينهم وبين جيرانهم أدواق بنفتيم Beneventum<sup>(٢)</sup> .

وخلال الفترة من ٨٤٥ إلى ٨٥١ م استولى المسلمون على ليونتينى Leontini (٨٤٧ م) وراجوزه Ragusa (٨٤٨ م) ، بفضل شجاعة القائد الإسلامي الفضل بن جعفر<sup>(٣)</sup> .

ويعتبر عباس بن الفضل بن جعفر (٨٥١ - ٨٦١ م) الفاتح الحقيقي لجزيرة صقلية ، فقد خلف أباه في قيادة القوات الإسلامية بها ، كما خلف أبا الأغلب في حكم الجزيرة بعد وفاته ، وذلك بانتخاب القادة المسلمين بالجزيرة لكفائته ، وهذا هو الاستثناء الوحيد في حكم صقلية ، إذ كان

(١) Scott II p. 25 C. Med. II. p. 136 Brock. Op. Cit. p. 156

(٢) C. Med. II. p. 136

(٣) Ibid. p. 137

الأغلبية يخشون استقلال أحد الحكام بها ، مما جعلهم يحرصون على أن يكون الحاكم من أسرهم . ووافق الأمير محمد الأغلبى فى أفريقية على ماتم بصقلية .

أرسل عباس بن الفضل القوات الإسلامية إلى مختلف جهات صقلية ، وكان يقود أغلبها ، فاستأنف الهجوم على إنا Enna عام ٨٥٢ م واتجه إلى الساحل الشرقى ٨٥٣ م وغزا قطانيا Catania ونوتو Noto وراجوزه Ragusa التى كان البيزنطيون قد استردوها من المسلمين لفترة ، وحاصر بويترا Butera لمدة خمسة شهور حتى سلمت ، وفى عام ٨٥٦ م استولى على خمسة حصون . وهاجم فى العام التالى تورمينا Taormina وسرقوسة . كما سلمت له مدينة كيفالو Cefalù فدمرها . وأخيراً استسلمت مدينة إنا ( قصر يانه ) فى ٢٦ يناير ٨٥٩ م . واستولى على قلعتها التى ظلت تقاوم ثلاثين سنة . وأعدم حاميتها . وابتنى فيها مسجداً (١) .

وفشلت جهود بدراس Badras الوصى على العرش البيزنطى زمن الامبراطور ميخائيل الثالث السكير ( ٨٤٢ - ٨٦٧ م ) آخر سلالة الأسرة العمورية (٢) . فقد قضى عباس على الأسطول الضخم الذى أرسله بدراس عند سرقوسة . كذلك أخضع عباس ثورات المدن الخاضعة للمسلمين . والتي كانت تمدها بيزنطة بالمساعدات (٣) .

(١) C. Med. H. P. 137

(٢) راجع قصة السفير الإسلامى يحيى الفزال وزيارة الإمبراطورة له هى وابنها ميخائيل ، وأصل تسميته بالسكير ؛ ( فى الملاحق )

(٣) C. Med. H. p. 138

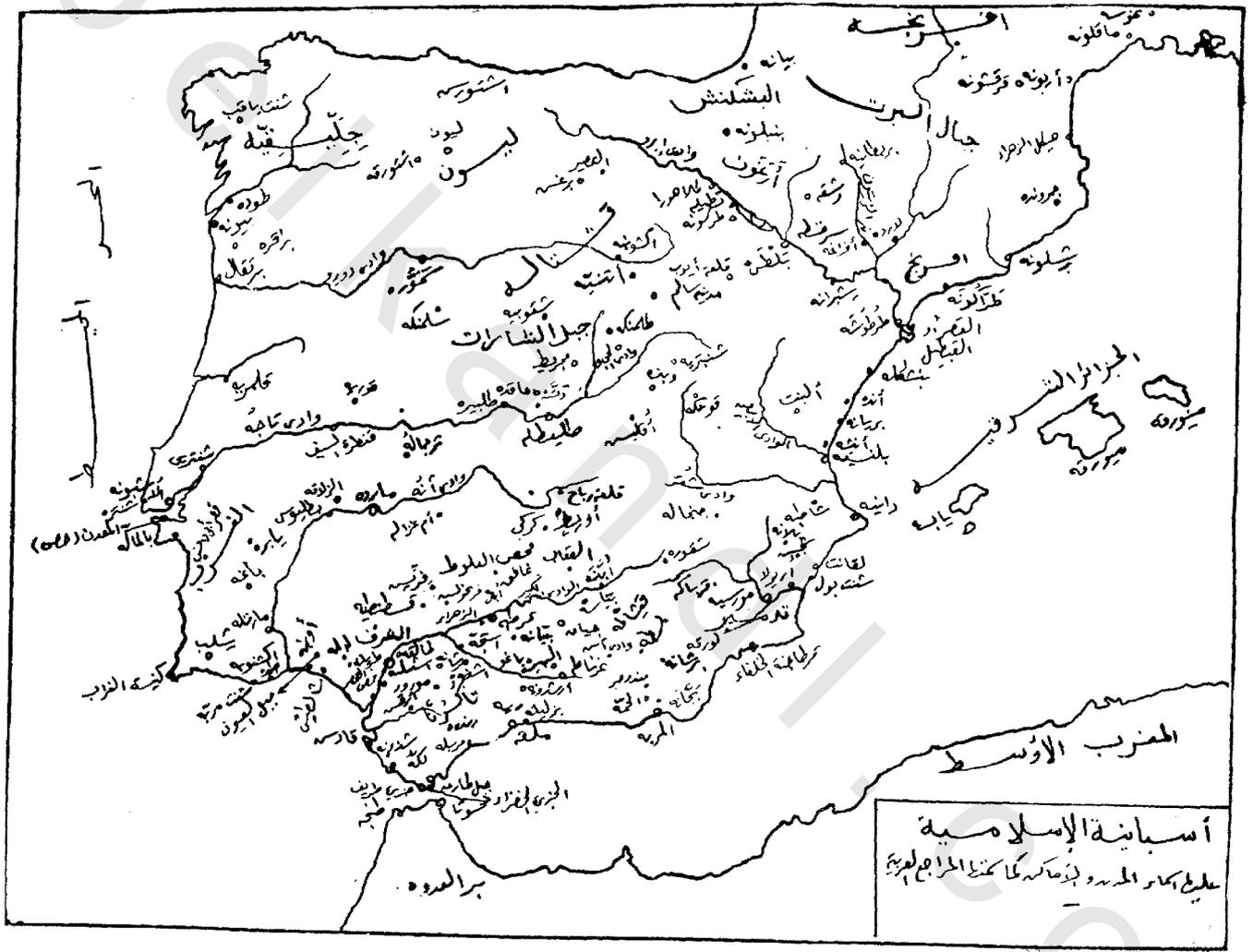
وتوفي عباس في ١٥ أغسطس ٨٦١ م . وهو في طريق عودته من إحدى غزواته لسرقوسة . ووقع خلاف بين المسلمين . واتهم البيزنطيون الفرصة . فانتقموا بإخراج جثة عباس من قبره وأحرقوها .

تلا ذلك سقوط سرقوسة في يد المسلمين في ٢١ مارس ٨٧٨ م . بعد حصار دام تسعة شهور . وكان سقوطها كارثة كبرى لبيزنطة وسياستها الحربية . كما جاء نقطة تحول في تاريخ العلاقات الخارجية للإمبراطور بازل المقدوني ( ٨٦٧ - ٨٨٦ م ) مؤسس الأسرة المقدونية . إذ أثبت فشل هذه السياسة . وفشل الجهود الجبارة التي بذلها خلال السنوات الأربع الأولى من حكمه . لإعادة النفوذ البيزنطي على ساحل البحر الأدورياني (١) .

وسقطت مدينة تاورامينا Taoraminum في أول أغسطس ٩٠٢ م ، بفضل شجاعة إبراهيم الأغلب ، وهذه المدينة آخر معقل بيزنطي في صقلية وبسقوطها أضحت صقلية كلها تقريبا خاضعة للسيادة الإسلامية . حقيقة هناك بعض البلاد الصغيرة ، قليلة الأهمية التي لم تزل خاضعة لبيزنطة ، غير أن المسلمين لم يعيروها اهتماما كبيرا ، ومن هذه البلاد : دنونا Denona ورمتا Rametta في شرقي الجزيرة ، وحتى الأخيرة هذه ، سقطت في يد المسلمين عام ٩٦٥ م ، ودمر المسلمون القوة البيزنطية التي وصلت بقيادة ما نوبل لمساعدتها (٢) .

(١) C. Med. H. p. 139 ; Brockel p 157

(٢) C. Med. H. pp 141 147



أسبانية الإسلامية  
يبلغ عدد المديرة بدماسك كما تحتل المراجع لعمدة



ورغم سيادة المسلمين على جميع أنحاء الجزيرة تقريبا في مطلع القرن العاشر الميلادي إلا أن الانقسامات التي وقعت بين القبائل العربية المختلفة المشتركة في الفتح ، فضلا عما وقع بين العرب والبربر ، مثلما كان الحال في أسبانيا الإسلامية ، بسبب التنافس والعصية القبلية ، حملت إبراهيم الثاني الأغلبي على القدوم بنفسه إلى صقلية لتهديئة الأحوال وتدعيم السيادة الإسلامية ، ولكن موته الفجائي في عام ٩٥٦م أدى إلى بعث الانقسامات وإثارة الأحقاد من جديد ، وكان ذلك مدعاة للضعف العربي الإسلامي في صقلية ، وتلك هي الآفة الكامنة الدائمة التي أفقدت السيادة صفة الدوام والبقاء إلى أجل أطول في جميع البلاد التي فتحوها . ومن نتائج هذه الأصره المباشرة اضطرار مسلمي صقلية إلى قبول معاهدة من بيزنطة تنازلوا فيها عن مدينة تاورومنيوم ، ومع ذلك استعادها العرب في عام ٩٦٥م (١) .

وبعد سنتين من تاريخ استعادة العرب لمدينة تاورومنيوم ، أبرمت هدنة دائمة بين الجانبين الإسلامي والبيزنطي ، ويمثل الجانب الإسلامي وقتئذ كان الخليفة أبا تيم معد المعز لدين الله الفاطمي ( ٣٤١ - ٣٦٥هـ / ٩٥٣ - ٩٧٤م) الذي خضعت له صقلية ، ويمثل البيزنطيين الإمبرطور المعاصر نقفور ( ٩٦٣ - ٩٦٩م )

أما عن جزيرة قوصرة<sup>(١)</sup> Pentellaria . فهي تقع في منتصف الطريق بين صقلية وساحل أفريقية الشمالي تقريبا . إذ تبعد عن صقلية بنحو ٦٠ ميلا وعن أفريقيا بنحو ٤٠ ميلا . وقد دعت الضرورة العسكرية المسلمين لفتحها لتأمين فتوحهم في شمالي أفريقية ، وذكر ياقوت أنها فتحت في أيام معاوية بن أبي سفيان (٤١-٦٠هـ / ٦٦٠-٦٨٠م) والراجح أن أول من غزاها هو عبد الملك بن قطن الفهري<sup>(٢)</sup> . خلال ولاية موسى بن نصير على أفريقية . وذلك عام ٧٠٧/٥٨٨م . ثم غزاها حبيب<sup>(٣)</sup> بن أبي عبيدة الفهري زمن ولاية عبيد الله بن الحبحاب لأفريقية والمغرب (١١٦ - ١٢٣هـ / ٧٣٤ - ٧٤١م) وذلك حوالي عام ١١٨هـ / ٧٣٦م . على أن الاستيلاء النهائي عليها كان حوالي عام ١٣٠هـ / ٧٤٨م على يد عبد الرحمن بن حبيب الفهري . حفيد عقبة بن نافع<sup>(٤)</sup> .

(١) كلمة قوصرة Cossyra اسم يوناني معناه السلة أو السفط أو الزنبيل ، ولفظة قوصرة في اللغة العربية لها نفس هذا المعنى فيقال : القوصرة وعاء النمر ، وفي بيت لعل بن أبي طالب :  
أفلح من كانت له قوصرة يأكل منها كل يوم مرة

وربما كان الاسم مشتقا من الفينيقية القديمة : قيصرة تصغير قصره ، والمعنى واحد : وأطاق الأسباب عليها كلمة بانيلاريا Pantellaria بهذا المعنى كذلك . وقد وصفها الجغرافيون العرب أمثال : ياقوت (ت ٦٥٦هـ) ق . م . وابن سعيد القرناطي (ت ٦٨٦هـ / ١٢٨٧م) وابن الفداء (ت ٧٣٢هـ) والعمري (ت ٧٣٣هـ / ١٣٣٢م) وخلاصة ما ذكروه أنها خصيبة وبها آبار وأشجار زيتون وفيها معز برية متوحشة . ولها من جهة الجنوب مرسى مأمون من الرياح . (حسني عبد الوهاب : قوصرة مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية م ٢ عدد ٢ أكتوبر ١٩٤٩) ص ٥٥ - ٥٧

(٢) ولي عبد الملك بن قطن الفهري الأندلس بعد ذلك مرتين إحداها ١٢٤هـ / ٧٤٢م ومكثت نحو سنتين والأخرى سنة ١٢٢هـ / ٧٤٠م لمدة سنة تقريبا (راجع البيان ج ٢ ص ٣٩ ، ٤٢ - ٤٦)

(٣) البيان ج ١ ص ٣٥١ - ٣٥٥

(٤) ولي عبد الرحمن بن حبيب الفهري أفريقية عام ١٢٩هـ / ٧٤٨م ، وكان مغتصبا للولاية وظل بها خلال حوادث القضاء على الدولة الأموية بالشرق وقيام الخلافة العباسية ، وقتل زمن أبي جعفر المنصور على يد أخيه إلياس بن حبيب (البيان ج ١ ص ٦٥ - ٧٨)

وقد اتخذ الأغلبة جزيرة قوصرة قاعدة لغزو صقلية . وأقاموا بها مركز الحمام الرسائل (١) وعنى بها المسلمون عناية كبرى . فنقلوا إليها كثيراً من نصارى صقلية ، كما هجروا إليها عدداً كبيراً من فلاحى تونس من عرب وأفارقة ، فامتزج الجميع بالعادات الإسلامية واللغة العربية . وكان القطن من أهم منتجاتها . ولا يزال إلى اليوم بها أسماء عربية (٢) وامتدت السيادة العربية الإسلامية على قوصرة إلى عام ٥٤٨٤ / ١٠٩١ م (٣) .

وهناك جزائر أخرى قرب قوصرة . وصلت إليها السيادة الإسلامية . منها جزيرة لانبدوشة Lanpédusa وجزيرة نموشة Linosa ، وتقعان شرقى تونس . والراجح أنهما خضعتا للسيادة الإسلامية خلال عمليات الفتح لجزيرة صقلية . فقد ورد في حوادث عام ١٩٧ / ٨١٢ م أن المسلمين غزوا بعض الجزر التابعة لصقلية . وأنهم حطموا أسطولا بيزنطياً قرب جزيرة لنبدوشة (٤) وقد وصفهما البكرى والإدريسى . وخلاصة وصفهما أنه بينما يوجد مرسى أمين في جزيرة لنبدوشة . لا يوجد مثل هذا المرسى في نموشة . وهما عامة قليلتا الزرع والحيوان (٥)

• • •

(١) حسنى عبد الوهاب ص ٥٩ ، أرشيبالد ص ٢١ ، ٤٢٨

(٢) حسنى عبد الوهاب ص ٦٠ ، مؤنس : المسلمون في حوض البحر الأبيض ص ١١٣

(٣) انظر مايلي :

(٤) C. Med. H., Vol. IV, p. 134 ، راجع ما سبق عن صقلية

(٥) حسنى عبد الوهاب ص ٦٦ — ٦٧

وعن جزيرة مالطة ولواحقها . فهذه تعرف بالأرخبيل المالطي .  
نظرا لأنها أهم جزائر هذا الأرخبيل ، ولواحقها هي جزيرة جوتزو Gozo  
وكونه Comino وكومينوتو Cominotto وقلعة Filfola . (١)

وتتميز مالطة ولواحقها بحسن الموقع ، حتى اعتبرت مفتاح حوض  
البحر الأبيض الشرقي في العصور الوسطى ، وكذلك في العصور الحديثة ،  
واسمها يوناني ميليته Miletus ، واشتهر هذا الاسم حوالي ٨٢٨ ق . م ،  
سماه النحل ، فخرها المسلمون إلى مالطة . والمعروف عن تاريخها السابق  
للمفتح الإسلامي ، أنها خضعت للفينقيين في القرن السابع قبل الميلاد ،  
ثم الرومان عام ٢١٨ ق . م ، وظل الرومان بها نحو عشرة قرون ، اعتنقت  
خلالها مالطة المسيحية خلال القرن الأول الميلادي ، على يد القديس  
بولص ، ثم خضعت للوندال والقوط الغربية ، واستردها جستنيان ،  
فصارت جزءا من الإمبراطورية البيزنطية (٢)

والراجع أن مالطة سقطت في يد المسلمين قبل عام ٨٠٠ م ، كما يقول  
غويا Goeja إلا أن السيادة الإسلامية لم تثبت وتكرر غزوها .

ويبدو أن أول غزو إسلامي لها فيما ذكره ابن الأثير ، كان في  
سنة ٢٢١ هـ ٨٣٧ م ، فقد ذكر في حوادث هذه السنة بصدده حديثه عن  
فتوح زيادة الله الأغلبي ، وفيها - أي في سنة ٢٢١ هـ - جهز أسطولا ،

(١) Rossi, E., Malta ( Encycl. of Islam ( Vol. III, pp. 213

(٢) أرسلان : غزوات العرب من ٢٨٤ - ٢٨٥ ، ٢٨٨

Scott. II, p. 76 ، تحفة الألباب من ١٠٥

فسار نحو الجزائر ، فغنموا غنائم عظيمة ، وفتحوا مدنا ومعامل وعادوا سالمين ، (١) ويرجع أن هذه الجزائر هي الأرخييل المالطي ، وربما لم تكن غزوة زيادة الله الأغلبي هذه هي الغزوة الإسلامية الأولى للأرخييل المالطي ، فقد تكون هناك غزوات سابقة ، وأن المسلمين فتحوا الجزيرة أو بعضها منها ، إلا أن السيادة الإسلامية لم تثبت عليها ، فتكررت الغزوات مثل غزوة عام ٢٠٩ هـ / ٨٢٤ م ، وجاء الاستيلاء النهائي عليها في عام ٢٥٦ هـ / ٨٧٠ م (٢) زمن أبي عبد الله محمد الأغلبي الملقب بأبي الغرائيق (٢٥٠ - ٢٦١ هـ / ٨٦٤ - ٨٧٤ م) (٣)

ولذلك جاء استيلاء الأغلبة على مالطة ولو احقها ، مكملًا لحصارهم صقلية ، فضلًا عن ربطها بالأملاك الإسلامية ، فقد أضحت جميع الجزر في تلك المنطقة الوسطى من حوض البحر الأبيض في أيدي المسلمين ، ومن ثم تأكدت سيطرة المسلمين على المضائق الواقعة بين صقلية وأفريقية (٤) وكان مقام المسلمين بمالطة أطول من مقامهم بجزيرة صقلية، حتى أن أصول

---

(١) تاريخ الكامل ج ٦ ص ١٢٥ ، أرشيباند لويس ص ٢٠٧ ، مؤنس : المسلمون في حوض البحر الأبيض ص ١١٣ ، أرسلان : غزوات العرب ص ٢٨٥ ، C. Med. H., IV, p. 139

(٢) C. Med. H., IV, p. 139

(٣) لقب بأبي الغرائيق ، لأنه كان موامًا بالصيد ، ويقال إنه بنى قصرًا لصيد الغرائيق وهي طيور مائية سوداء وقيل بيضاء - مزردها غرائوق ، أنفق فيه ثلاثين ألف دينار ( ابن الأثير ج ٦ ص ١٩٢ أرسلان ، ص ٢٨٩ ، القاموس المحيط )

(٤) أرشيبالد ص ٢٠٧ .

لغة مالطة هي العربية (١) ، فقد ظلت مالطة خاضعة للسيادة الإسلامية نحو ٢٢٠ سنة ، وتعتمد على صقلية ، وعومل أهلها بالتسامح واللين ، وفرضت عليهم ضرائب معتدلة (٢)

ومن حيث جزائر حوض البحر الأبيض الغربي ، فأولها جزائر البليار ، وتعرف كذلك باسم الجزائر الشرقية ، لوقوعها شرق الأندلس . وأهم جزرها ميورقة أو مايرفه Majorca ومينورقة أو منركة Minorca ويابسه Gvisa (٣) ونظرا لقرب هذه الجزائر من أسبانيا ، فقد ارتبط تاريخها بالتاريخ الأسباني منذ أقدم العصور ، ومن ثم تعرضت للغزوات التي شهدتها سراحل البحر الأبيض وبلاده ، ووقعت معها تحت نير الاستعمار الإغريقي ثم الفنيقي ثم الروماني والبيزنطي (٤) ، وتشتهر هذه الجزر بجمالها وخصوبتها (٥) وأول غزو إسلامي لهذه الجزائر ، كان زمن حوادث الفتح الإسلامي لأسبانيا ، فقد أرسل موسى بن نصير والي أفريقيا والمغرب ، قوة بحرية

---

(١) أرسلان ص ٢٨٥ - ٢٨٦ ( عن الوسطة في معرفة أحوال مالطة للرحالة المسلم أحمد فارس الشدياق ، وعن دائرة المعارف الإسلامية ) انظر مايلي .

(٢) Scott, II , p. 76

(٣) انظر الروض المعمار ص ١٨٥ ، ١٨٨ ، ١٩٨ ؛ تقويم البلدان ص ١٩٠ ، صبح الأعشى ج ٥ ص ٢٠٦ ( ذكرها باسم بياسة )

(٤) كلييا ( Clelia Saranelli Cerqua ) مجاهد العامري ص ١٨٦

(٥) نفي الشاعر ابن اللبانة بجمال مدينة بجزيرة ميورقة ، بها ساقية تعمل باستمرار فقال :

بلدا أعارته الحمامة طوقها وكساه حلة ريشه الطاوس  
فكأنما الأنهار فيه مدامة وكأن ساحات الديار كؤس

( نفع الطيب ج ١ ص ٨٠ )

بقيادة ابنه عبد الله ، فغزا جزيرة ميورقة ، وغنم منها ما لا يحصى وعاد سالما (١) ، وتكرر غزوها بعد ذلك ، منها الغزوة التي وجهها إليها الحكم بن هشام الأموي بالأندلس سنة ١٨٢ هـ / ٧٩٨ م ، فاستعان أهل الجزر بشارلمان ، ونجحت معونة شارلمان في إبعاد المسلمين عنها لفترة طويلة ، لكن ليس من المحقق ، هل خضعت جزر البليار لسيادة شارلمان أم لا؟ وهناك من يقول : إنه بعد وفاة الإمبراطور شارلمان الفرنجي عام ٨١٤ م انتخب برنارد حفيده ملكا على ميورقة ، ورنارد هذا ابن يبين بن شارلمان وكان يبين ملكا على إيطاليا وتوفي ٨١٠ (٢) .

وفي زمن الحكم بن هشام كذلك ، قامت حملة إلى جزر البليار عام ٨٢٠ هـ / ٨١٥ م (٣) ، وكان أهل ميورقة مرتبطين بعهد مع المسلمين ، لكنهم خرجوا على العهد وثاروا في ٢٣٤ هـ / ٨٤٨ م ، فأرسل الخليفة عبد الرحمن الثاني بن الحكم (٢٠٦ - ٢٣٨ هـ / ٨٢١ - ٨٥٢ م) ، أسطولا مكونا من ثلاثمائة مركب ، نجح في إخضاع الفتنة ، يقول ابن عذاري : «وفي سنة ٢٣٤ ، أمر الأمير بتوجيه العساكر إلى أهل جزيرة ميورقة لنكابتهم وإذلالهم ومجاهدتهم لنقضهم العهد وإضرارهم بمن مر عليهم من مراكب المسلمين ، فغزتهم ثلاثمائة مركب ، فصنع الله للمسلمين جميلا وأظفرهم بهم وفتحوا أكثر جزائرهم (٤) ، . وتدل هذه الغزوة على وجود نوع من السيطرة ، فضلا عن العهد المكتتب لأهل الجزيرة .

(١) ابن الأثير ج ٤ ص ٢٢١

(٢) كلييا ص ١٨٧

(٣) مؤنس : المسلمون في حوض البحر الأبيض ص ١١٦ ، كلييا ص ١٨٦ - ١٨٧

(٤) البيان ج ٢ ص ١٣٢ . انظر ابن الخطيب ص ١٨

وربما كان الفتح الحقيقي لهذه الجزر في سنة ٢٩٠ هـ / ٩٠٣ م ، فقد أرسل الخليفة الأموي عبد الله بن محمد ( ٢٧٥ - ٣٠٠ هـ / ٨٨٨ - ٩١٢ م ) أسطولا بقيادة عصام الخولاني ، وقد عينه حاكما على الجزر ، فنجح عصام في فتح ميورقة ومنورقة ، أما يابسه ، فظلت بين حاكمها جويزا Juiyza ، وحكم عصام هذه الجزر باسم بني أمية حتى وفاته ، وخلفه ابنه (١) . ومنذ ذلك الوقت ، تعاقب على حكمها ، ولادة من المسلمين ، وظلت خاضعة للسيادة الإسلامية حتى سقوط خلافة قرطبة في عام ٤٢٢ هـ / ١٠٣١ م .

وحدث أن اضطربت بلاد الأندلس عقب سقوط الخلافة وقيام ما عرف باسم عصر ملوك الطوائف ( ٤٢٢ - ٤٨٤ هـ / ١٠٣١ - ١٠٩١ م ) فاستقل كل بما أمكنته يده ، وأصبح لكل مدينة أو مقاطعة أمير مستقل وبلغ هؤلاء الأمراء في النصف الأول من القرن الحادي عشر الميلادي ، نحو عشرين أسرة مستقلة في عشرين مدينة أو مقاطعة ، وهؤلاء هم ملوك الطوائف (٢) ، وكان حكمهم فترة انتقال بين عهد الخلافة الأموية وبين قيام دولة المرابطين ودخولها أسبانيا (٣) .

استقل بنو عامر بشرق الأندلس (٤) ، وسنحت الفرصة لمجاهد العامري

(١) مؤنس : المسلمون في حوض البحر الأبيض من ١١٦ ، كليليا من ١٨٧ - ١٨٨

(٢) صبح الأعشى ج ٥ من ٢٥٨ ، العبادي من ١٧٠ - ١٧١ ، كليليا من ٥٢ - ٥٥

(٣) كليليا من ٣٥ - ٥١

(٤) بنو عامرهم سلالة محمد بن أبي عامر الذي ظهر في بلاط الحكم المستنصر الأموي (٣٥٠ - ٣٧٦ هـ / ٩٦١ - ٩٨٦ م ) الذي انصرف إلى شئون العلم والأدب عن شئون الدولة ، وساعدته صبح زوجة الحكم حتى ولاء قضاة بعض البلاد فبرزت مواهبه وعبقريته ، وساعده على =

## لغزو جزائر البليار . وأبو الحسين مجاهد بن عبد الله العامري صقلبي (١)

-- الظهور موت الحكم وتولية ابن هشام وهو صلي لم يتجاوز التاسعة من عمره (٣٦٦-  
٣٩٩ هـ / ٩٧٦ - ١٠٠٩ م) . ووطد علاقته بالمصحني كبير الوزراء حتى أخرج الصقالبة  
الذين كانوا بالنصر، وكانوا نجوم من عماعة، فخلا له الجو ، وظل يدبر المؤامرات ضد المصحني،  
صاحب الفضل عليه ونجح في إبعاده وفيه سنة ٣٦٧ هـ / ٩٧٨ م ، وأصبح هو المدبر الفعلي  
لشئون الخلافة الأموية، إذ سار الحاجب بالشام المؤيد . واستخدم ابن أبي عامر الصقالبة واصطنع  
فريقا لنصرته، فكانون له منهم قوة ، واشتهر في السياسة والحرب والعلم والآدب .  
( انظر : ابن عذارى ج ٢ ص ٣٧٣ - ٣٧٦ ، مفاخر البربر ص ١٣ ، ابن الخطيب  
ص ١٩٣ - ١٩٥ ، نفح الطيب ج ١ ص ١٨٥ وما بعدها ، كليبا ص ١٦ - ٣٢ ) .

(١) تعنى كلمة صقلبي وصقالبة ، عند الجغرافيين العرب في العصور الوسطى ، مجموعة  
من الناس من أجناس مختلفة ، كانت تعيش على حدود المزر ، أى بين منطقة القوقاز والحوض  
الأدنى لنهر القلجا ، وأطلق هذا الاسم على أسرى الجرمان من هذه الشعوب ممن استرقهم  
العرب في الأندلس ، وتطور هذا المصطلح في أسانبا حتى صار يطلق على هؤلاء العبيد  
الأوروبيين الذين شغلوا بعض المناصب في بلاط قرطبة ، ومنهم الحرس الخامس بالخلفاء  
الأمويين ، منهم من الجليقيين ، السويف ، ومن الفرنج والمبارد . وأغلبهم ينتمى إلى سكان  
ثغور أوروبا المطلّة على البحر الأبيض ، وجاءوا عن طريق الثراء أو الأسر في الحروب ،  
واشتهرت مدينة فردان Verdun بفرنسا بوجود تجار من اليهود الخبيرين بعملية النصى  
لهؤلاء العبيد ، ومن فردان كان الحصيان يرسلون إلى الأندلس ، وانتشرت عملية النصى  
كذلك في مدينة اليسانه Lucena بالأندلس على بعد ٤٠ ميلا من قرطبة ، وأغاب سكانها  
من اليهود وكذلك مناطق الثغور المتصلة بفرنسا . يقول المقرئ (وقد تعلم الحصاء قوم من المسلمين  
هناك ، فصاروا ينجسون ويستحلون المثة ) . وتعلم هؤلاء الصقالبة سواء أكانوا غولا  
أم خصيانا ، لغة سادتهم وأخذوا دينهم وعاداتهم ، وفتحت عقولهم في الأندلس حيث الحضارة  
الزدهرة على عكس الظلام الدامس الذى كان يجيم على شعوب أوروبا في العصور الوسطى ،  
فنهلوا من هذه الحضارة حتى صاروا مصدر خطر على سادتهم .

والأصل اللغوى لهذه الكلمة كما في اللغة الصقلبية القديمة سلافينيو Slaveninu وتدل  
على سكان هذه البلاد من حيث الوطن ، واستعملها اليونان مرادفة للعبد Sklavos ،  
وصارت في اللاتينية Selavus نقلا عن اليونان ، وفي الفرنسية Esclave وفي الألمانية Sklave  
وفي الإنجليزية Slave ، وذلك حوالى القرن الثالث عشر أو الرابع عشر ، وعرفها العرب  
منذ اشتبكوا في حروب مع بيزنطة حوالى القرن السابع الميلادى ، إذ كان بعض الصقالبة  
يحاربون كجنود مرتزقة في الجيش البيزنطى .

( انظر كليبا ص ٢ - ١٥ وما بها من مراجع ؛ ابن حوقل : الملك والمالك ص ١٣ - ١٤

ياقوت معجم البلدان ج ٢ ص ٢٧٢ . نفح الطيب ج ١ ص ١٤٠ Dozy, II, P. 154

مسيحي في الأصل ، ويقترن اسمه كذلك بالرومي (١) ، استرقه المنصور بن أبي عامر في بلاط قرطبة، واشتهر مجاهد بالشجاعة والمغامرة وسعة الثقافة في العلوم الدينية والأدبية ، وبفضل مواهبه ، ارتفع مجاهد من طبقة الرقيق إلى مرتبة ملك خطر يسيطر على دانيه Denia بشرق الأندلس؛ واستقل بدانيه حوالي عام ٤١٣ هـ ، وولى أمر دانيه من قبل هشام الثاني ، ويقول صاحب البيان إن الذي ولاه دانيه هو المنصور بن أبي عامر حتى صار أسطورة عجيبة في تاريخ العلاقات الإسلامية الإيطالية في القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) : كانت دانيه عاصمته ، مركز النشاط الثقافي والحربي ، وغدت نقطة وثوب على جزر البليار وسردانية ، بل صارت دانيه قاعدة بحرية لأسطول قوى شجعه على القيام بمغامرات بحرية وقد أفردت له المراجع اللاتينية والغربية فصولا مطولة ، إذ كانت أعماله ومغامراته تعد من الأساطير ، وكان مجرد ذكر اسمه ، يلقي الرعب في قلوب المسيحيين ، ويعرف في الكتب الأجنبية باسم: Mujet أو Musectus (١)

قام مجاهد العامري في عام ٤٠٥ هـ / ١٠١٤ - ١٠١٥ م ، وفتح جزر البليار الثلاث الرئيسية ، وأعلن استقلاله بها في عام ٣٤١ هـ / ١٠٢٢ م ، وعين في ذلك العام ، عبد الله بن أخيه ، واليا على هذه الجزر ، فأمضى في حكمها خمسة عشر عاما حتى توفي ، وخلفه في حكومة البليار الأغلب مولى مجاهد ، وذلك سنة ٤٢٨ هـ / ١٠٣٦ - ١٠٣٧ م ، وفي خلال حكم الأغلب

---

(١) ابن خلدون ج ٤ ص ١٦٤ ؛ صبحى الأعشى ج ٥ ص ٢٥٦ - ٢٥٧ ؛ الروض المعطار ص ٧٦ ؛ ابن الخطيب ص ٢١٧ - ٢٩١ ؛ معجم الأدباء ج ١٧ ص ٨٠ ، كليليا ص ٢١١ - ٢١٤ ؛ أرسلان غزوات العرب ص ٢٠٢ - ٢٠٤ ، مؤنس ص ١١٦ .

مات مجاهد سنة ٤٣٦ هـ / ١٠٤٥ ، وخلفه ابنه على الملقب بأقبال الدولة (١)

\* \* \*

أما جزيرة سردينية ، فهي ثانية جزر البحر الأبيض حجا ، بعد صقلية (٢) ، ونظرا لعدم تعرج سواحلها ، فإن مواسمها قليلة ، ومن ثم قلت صلاحيتها للملاحة البحرية ، ويوجد بشواطئها كثير من المستنقعات ، مما حمل سكانها على الانحياز إلى المرتفعات الداخلية ، على أن شواطئها الغربية والجنوبية صالحة للملاحة ، مما جعلها هدفا للمسلمين من ناحية الجنوب ومن ناحية الأندلس (٣) .

احتلها الرومان واتخذوها منفي ، ومن بعدهم احتلها الوندال عام ٤٧٦م ثم البيزنطيون عندما استرد جستنيان بعض الجزر التي كانت تابعة للإمبراطورية الرومانية (٤) ، وظلت جزيرة سردينية بيد بيزنطة حتى القرن العاشر ، واعتبرت في التنظيم الإداري البيزنطي تابعة لبند صقلية Theme of Sicily (٥)

تعرضت هذه الجزيرة للغزو الإسلامي . كغيرها من جزر البحر الأبيض ، وأول غزو إسلامي لها كان عام ٩٢ هـ / ٧١٠ م ، يقول ابن الأثير : ولما فتح موسى بلاد الأندلس ، سير طائفة من عسكره في البحر إلى هذه الجزيرة

(١) ابن خلدون ج ٤ ص ١٦٤ ؛ كليليا ص ١٧٥ ، ١٨٧ - ١٨٩ ، ٢٥٣ وما بعدها ، ابن الخطيب ص ٢٢١ - ٢٢٢ ؛ ٢٧٥ - ٢٧٦

(٢) ابن الأثير ج ٤ ص ٢٣٢

(٣) كليليا ص ١٩٣ . تحفة الألباب ص ١٠٤ - ١٠٥

(٤) انظر شمال أفريقية والوندال ( للمؤلف )

(٥) Deanesly, P. 875

سنة اثنتين وتسعين ، فدخلوها ، وغنموا وغنم المسلمون فيها ما لا يحصى ولا يوصف . وفي عودتهم ، غرقوا بما غنموا (١) ، وتكرر الغزو بعد ذلك في عام ٩٨ هـ / ٧١٦ م ، ١١٧ هـ / ٧٣٥ م ، ١١٨ هـ / ٧٣٦ م ، وفي سنة ١٣٥ هـ / ٧٥٢ م ، غزا عبد الرحمن بن حبيب الفهرى سردانية وصالح أهلها على الجزية (٢) .

وخلال الفترة ما بين ١٨٥ هـ / ٨٠١ م و ٢١٦ هـ / ٨٣١ م ، توالت الغزوات على الجزيرة من ناحيتي أفريقية والأندلس . ولكنها كانت غزوات سريعة خاطفة ، ليست لها صفة السوام ، وكان لتفرق كلبة المسلمين بين أموي الأندلس وأدارسة المغرب وأغالبية تونس أثره في عدم اتخاذ موقف موحد قوى ، وتم الفتح الجزئي لهذه الجزيرة عام ٢٢٧ هـ / ٨٤٩ م زمن الخليفة الأموي عبدالرحمن بن الحكم (٢٠٦-٢٣٨ هـ / ٨٢٢-٨٥٢ م) ، واتخذ المسلمون من فتوحهم في سردانية نقطة انطلاق لمهاجمة روما ، فضلا عن أهمية الحصول منها ومن غيرها على العبيد والخشب لصنع سفنهم (٣) .

وفي سنة ٢٢٣ هـ / ٩٣٥ م ، قامت الغزوة المشهورة من المهديّة بشمال أفريقيا ، إذ أبحر أسطول إسلامي بقيادة يعقوب بن إسحاق ، وكان مكونا من ثلاثين سفينة حربية وهاجم كلا من سردانية وجنوا وعاد محملا بالغنائم (٤) . وبرز خلال هذه المعارك الحربية البحرية أحد الجنود المسلمين

(١) ابن الأثير ج ٤ ص ٢٣٢ - ٢٣٣

(٢) البيان ج ٢ ص ٧٣ . ابن الأثير ج ٤ ص ٢٣٣ C. Med. H., Vol. IV, 134

(٣) Deanesly. p. 375 . انظر مايلي

(٤) ابن الأثير ج ٤ ص ٢٣٣ . كليليا ص ١٩٥

الذين أسهموا بشجاعة في غزو سردانية ، حتى لقب بابن السرداني ، وهو أبو جعفر أحمد ، ويقال له حمودة بن إبراهيم أو ابن سعدون المتعبد (ت ٥٣٢٢ أو ٥٣٥٤) (١) .

وربما كان أصلح تعبير للغزوات الإسلامية التي تعرضت لها جزيرة سردانية أنها كانت أقرب الموجات منها إلى الفتح والاستقرار . إذ كانت تنكسر على شواطئ الجزيرة دون أن يتمكن المسلمون من تثبيت أقدامهم فيها . بسبب عدم ملائمة المناخ وشدة كفاح أهل الجزيرة ، وكثرة الأمواج على شواطئها ، ومن أجل ذلك لم تتأثر سردانية كغيرها من البلاد التي وطئها المسلمون ، من حيث الثقافة أو الدين أو الفن أو التجارة (٢) .

أدت هذه العمليات الحربية المستمرة إلى قطع العلاقات بين بيزنطة وجزيرة سردانية ، وتفاعدت بيزنطة عن نصرتها ، فاعتمد السردانيون على أنفسهم ، وأمدهم الفرنجة أحيانا بالمساعدات كما ساعدتهم جمهوريات إيطاليا البحرية مثل جنوة وبيزا . كذلك أدى الغزو الإسلامي إلى تقوية الصلات بين البابا والمدن الإيطالية . ومن ثم انبرت البابوية لتنظيم حركة المقاومة ضد الخطر الإسلامي ، بل أدى تدخل بيزا إلى تسليط نفوذها في سردانية . مما أدى بالتالي إلى صراع حربي بين بيزا ومنافستها جنوا (٣) .

والفتح الإسلامي الحقيقي لجزيرة سردانية ، تم في مطلع القرن الحادي

(١) كليليا ص ١٩٥

(٢) كليليا ص ١٩٩

(٣) كليليا ص ١٩٦ . Deanesly. P. 375

عشر الميلادى . على يد مجاهد الدانى . فقد حدث بعد أن انتهى من فتح جزر البليار في رمضان ٥٤٠٥هـ / مارس ١٠١٥م . توجه إلى سردانية في ربيع أول ٥٤٠٦هـ / أغسطس وسبتمبر ١٠١٥م . على رأس ١٢٠ سفينة حربية . ومعه ألف جواد . وكان مشروعه للفتح والإقامة لا مجرد الغزو . على أن يتخذ من سردانية نقطة وثوب على غيرها فضلاً عن هدفه البعيد وهو جعل البحر الأبيض بجزراً إسلامياً (١) .

والراجح أن مجاهداً نزل بالقرب من مدينة كاليارى Cagliari . وكانت المعركة رهيبية . قتل فيها الكثير وأسر الكثير ولاسيما من جانب المسيحيين . ومن بين القتلى شخص يسمى مالوت . قيل إنه قائد السردنيين (٢) . وعلى الرغم من دفاع أهل الجزيرة . إلا أن مجاهداً استطاع أن يحتل جزءاً كبيراً من الجزيرة وأن ينفذ إلى المناطق الجبلية وأن يحتل عدداً من المعاقل السردينية (٣) . يقول ابن الخطيب :

وغزار رحمه الله إلى سردانية . جزيرة الروم . وهي عظيمة . مسيرتها ثمانية أيام . وفيها ملوك أربعة من قبل صاحب الأرض الكبيرة - أى فرنسا اقتحمها في مائة وعشرين مركباً . حمل فيها ألف فارس . ففتح أرضاً جبلية . وضرب على بعض ملوكها جزية . وتجاوز حده (٤) .

بدأ مجاهد عمالية إقامة المزيد من الحصون . واخترت مدينة واسعة وشرع

(١) كلييا ص ١٩٦ - ١٩٧ . ابن الأثير ج ٤ ص ٢٣٣

(٢) كلييا ص ١٩٧ - ١٩٨ (عن أمارى Amari)

(٣) كلييا ص ١٩٨ .

(٤) أعمال الأعلام ص ٢١٩

في بنائها وانتقل إليها بأهله وولده . بعد أن غنم وسبي مالا يأخذه الحصر .  
إلى أن كسد في زمانه السبي وخست فيه الأمان، (١) .

ولقد بالغ الأعداء في تصوير سوء معاملته لأهل سردانية . غير أن  
سوء هذه المعاملة ترجع إلى ضعف مركزه في الجزيرة وهزيمته أمام بيزا  
وجنوه ، يقول ابن الخطيب : « وكان شديد الوطأة على رعيته ، سام أهل  
الجزائر الخسف ، فسطا بوجوههم ورؤسائهم ، وألزم قلوبهم الرهب ، لما  
خافهم على دولته ... حتى لقد حذر عليهم رماكهم السامية ، وكانت عمدة  
أموالهم ، فكسبها منعوتة ، فلا تكاد الرمكة تنتج مهراً ، حتى يكتب على  
ربه بنعته ، ويلزمه بتربيته ، والقيام عليه ، إلى أن يصلح للرياضة ، فيقبض  
منه ذلك ، ويعطى عنه خمسة دنانير دراهم ، لا يزداد عليها في وقت . ولا يبرأ  
منه إن نفق إلا براءة من ثقته ، ولقد قطع أذن رجل لقطعه أذن مهر  
طلب التشويه بخلقه، (٢) .

غير أن أعداء مجاهد أفرطوا في المبالغة ، ولا سيما الشاعر الإيطالي  
فيرنيزي Vernese ، الذي قال إن مجاهداً كان يأمر بأن يبنى بأجسام الثوار  
أحياء ، بدلا من الحجارة . ويجلدهم ويصلبهم ويدعهم للكلاب الشرسة (٣)  
ولم يكن هدف هذه المبالغة في التصوير خافياً . فإن أمثال هؤلاء الأعداء

(١) أعمال الأعلام ص ٢١٩

(٢) أعمال الأعلام ص ٢١٨

(٣) كلييا ص ٢٠٣ (أوردت كلييا بعض فقرات من الشعر الذي قاله فيرنيزي في  
هذا الصدد)

كانوا يعملون على إشعال نار الكراهية في قلوب المسيحيين . وإثارة  
حماسهم للدفاع ضد مجاهد . وقد امتد حكم مجاهد في سردينيا إلى عام  
١٠١٦ م (١) .

\*\*\*

ويلاحظ أن الغزوات التي شنّها المسلمون على جزر البليار وسردانية  
قد اقترنت بغزو جزيرة قورسيقة (٢) . والراجح أن جزيرة قورسيقة  
خضعت للسيادة الإسلامية قبل عام ٨٠٦/٨١٩١ م . واتخذت هي وسردانيا  
قاعدة للعمليات البحرية . لغزو شواطئ إيطاليا . وكان المسلمون يأملون  
أن تظل قورسيقة بصفة خاصة قاعدة دائمة لهم .

جمع شارلمان إمبراطور الإمبراطورية الغربية وملك الفرنجة أسطولا  
من الموانئ الإيطالية لطرد المسلمين من قورسيقة . وكان ذلك في عام ٨٠٦ م  
وفي المعركة البحرية قتل قائد الأسطول الفرنجي هادومر Hadumar وهو  
كونت جنوه . فاضطر شارلمان إلى إعداد أسطول آخر بقيادة برخارت  
Burchard . وظفر هذا الأسطول بإحراز نصر على المسلمين . وفي عام  
٨٠٨ م تدخل البابا ليو الثالث . وطالب من شارلمان ألا يغفل عن مهاجمة  
قورسيقة ، لأن المسلمين بها لا يكفون عن غزو الشواطئ الإيطالية

---

(١) كليليا ص ٢٠٢ . مؤنس ص ١١٦ . انظر ما يلي

(٢) Deanesly, P. 375

(٣) Deanesly, P. 375. Scott Vol. II. J. 75

وعلى أن السيادة الإسلامية على هذه الجزيرة ، لم تكن ثابتة أو مستقرة  
بدليل كثرة تكرار انغزو لها من الجانب الإسلامي والجانب المسيحي . ففي  
عام ٨١٣ م توجه أسطول إسلامي إليها ، جاء من أسبانيا . وغنم من  
قورسيقة مغانم كثيرة ، منها خمسمائة أسير . إلا أن الأسطول الفرنجي ،  
التقى بالأسطول الإسلامي العائد من قورسيقة . عند جزيرة ميورقة . وأجبره  
على تسليم مغانمه وأسراه . فلم يكن من الأسطول الإسلامي إلا أن توجه إلى  
مدينة كيفيتا فكيا Civita Viccia على الساحل الإيطالي شمالي رومالته وبعوض  
مافقدته (١) .

ثم انتقلت السيادة الإسلامية على قورسيقة وسردانية للفاطميين عام  
١٠٠٣ م (٢) . وعندما غزا مجاهد العامري سردانية عام ١٠١٥ م توجه إلى  
غزو مدينة لوني Luni الإيطالية وكان عليه أن يمر بجزيرة قورسيقة  
ويحتمل أنه احتلها أو احتل بعض أجزاء منها . ويرى المؤرخ ماس لاتري  
Mas Latrie أنه طالما كان العرب مسيطرين على بوغاز بونيفاشيو—  
Bonifacio الفاصل بين سردانية وقورسيقة ، فلا بد وأنهم احتلوا قورسيقة  
أو على الأقل الأجزاء الساحلية منها لكي يؤمنوا هذا الممر ، وكذلك  
لتأمين شواطئ سردانية (٤) .

(١) كلييا ص ١٩٨

(٢) كلييا ص ١١٣

(٣) كلييا ص ١٩٨

(٤) كلييا ص ١٩٨ - ١٩٩